المشهد
العدد 331 – السنة الثانية عشرة-الأحد 10 سبتمبر 2023م - 25 صفر 1445هـ

قالت العرب

عيونك شوكة فى القلب / توجعنى وأعبدها وأحميها من الريح /
وأغمدها وراء الليل والأوجاع / أغمدها فيشعل جرحها ضوء المصابيح
محمود درويش (1941 -2008)

البلاتوه

المهن الموسيقية حلقت للفنانة سارة زكريا وبنت شريف منير حلقت للجمهور

البلاتوه هيجننا يا خلق يا هو والكادر الان قلقان داخل زوم إن على الفنانة سارة زكريا، والتي صدر منها بعض التجاوزات في حفلتها الأخيرة بالساحل الشمالي فأصدرت المهن الموسيقية برئاسة الفنان مصطفى كامل قرارا بوقف التعامل معها، ومن الجدير بالذكر ان الفنانة سارة زكريا صاحبة أغنية تيجي نتجوز بالسر، ونروح لبيت بعيد (وبيبي) أنا عن نفسي موافق!.

كما أصدرت النقابة قرار بوقف مؤدي القلقاس؛ عفوا مؤدي المهرجانات «كزبرة» ولذلك لما صدر منه من تجاوزات .. تخيل بعد محمد فوزي ومحمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ ومن بعدهم على الحجار ومحمد منير وعمرو دياب وغيرهم .. يتصدر الغناء في مصر؛ شطة وكسبرة، كمون، وبهارات، وكماشة، ومنشار، وشاكوش .. وطبعا هتتنوع الحفلات ما بين المطبخ والورشة.

×××

البلاتوه هيجننا يا خلق يا هو والكادر الان قلقان داخل زوم ان على بنت الفنان شريف منير والتي ظهرت على السوشيال ميديا بدون شعر! مما عرضها لحملة انتقادات واسعة؛ ليخرج علينا والدها (ويبث لايف) ليرد على كل المنتقدين .. والوقت وبالبلدي كده هسأل عزيزي المتدين بطبعه شوية أسئلة ..إيه هي الحرية؟ ماهي الحرية؟ أين البشر التي رقت قلوبهم؟ أين العفو؟ أين الرحمة؟ هل من التدين السب والقذف؟ رد أنت على نفسك.

بالمنسابة اللي حصل مع بنت الفنان شريف منير عيب .. عيب قوي، ونفس العيب ده حصل مع فتاة النوبة، والتي عبرت عن فرحتها في حفلة تخرجها .. يستحيل تكون كل الشتايم دي تخرج من متدين بطبعه!.

البلاتوه هيجننا يا خلق يا هو والكادر الان قلقان داخل زوم ان على الفنان عمرو مصطفى والذي قرر العودة للتلحين مرة آخرى شكله تاب عن الغنا ودقي يا مزيكا

رقص فتاة النوبة وتوبة عمرو مصطفى ودقي يا مزيكا

صندوق الدنيا

صفحة هزلية يكتبها
ويحررها : مينا ناصف

تعالى قرب .. شوف وجرب / لو أنت عاوز متقولش جايز
صندوق الدنيا / ده لكل الدنيا / واتفرج يا سلام

البستان

أيمن ونس يتراجع عن الاستقالة والثقافة والآثار «ودن من طين وودن من عجين»

[البستان مليان أشكال وألوان
اشى حكم وأمثال واشى موال
واشى وهم وخيال]

سيداتى أنساتى سادتى ، السلام عليكم ورحمه الله وبركاته؛ ننقل لكم مبارة كرة القدم بين فريقى المتشددين والتنويرين على الأضواء الكاشفة باستاد أرض التكفير الدولي، وزى ما إحنا عارفين؛ فيه حالة شحن وطحن ومحن بتميز لقاء اليوم .. اذّكر حضراتكم بالماتش اللى فات واللى كان مقرر يتلعب على أرضية ملعب مقابر السيدة نفيسة والإمام الشافعى بس للأسف المقابر اتهدت وبقت كوم تراب، وده طبعا للصالح العام .. حد من الجمهور بيسألنى إيه هو الصالح العام ؟ أقوله هنعمل كوبري! ثم فيها إيه يعنى لما شوية مقابر أثرية بقالها ١٠٠٠ سنة تتهد؟! .. ماتش اليوم معقد، وكل فريق قافل على نفسه، وواضح اننا هنشوف مفاجآت فى اللقاء واللى كان مقرر يحضره أحفاد أمير الشعراء أحمد بيه شوقي، واللى قال: سلا مصرَ هل سلا القلبُ عنها أو أسا جُرحَه الزمان المؤسّي؟. بس طبعا أحفاده رفضوا الحضور. بينورنا فى الاستوديو أحفاد شاعر النيل حافظ إبراهيم واللى قال: أنا إن قَدَّرَ الإلَهُ مَماتى لا تَرى الشرقَ يَرفَعُ الرَأسَ بَعدي. لكنّ الشرق رفع راسه، وهدد بهد قبره، وللأسف أحفاده برضوا زعلانين .. بس بصراحة ملهومش حق .. دا المثل بيقول (الحى ابقى من الميت)! طبعا كل مشجعى د.طه حسين ماليين المقصورة الرئيسية ومنورين اللقاء؛ لانهم من فترة عملوا حرب فيس بوكية لإنقاذ القبر؛ بس مقدروش ينقذوا العقل، ويخلوه يفكر إزاى يستفيد من الآثار؛ مش مجرد موقف يسجلوه ودمتم. طبعا منورنا فى المقصورة الرئيسية ضيفة الشرف وزيرة الثقافة، واللى مش عارفين هى بتعمل إيه أصلا؟ ولا إيه دورها؟ ولا إيه موقفها؟ وكله على (بركة الله يا جماعة) واديها سندوتشين! .. أنا شايف وزير الآثار قاعد جنب وزيرة الثقافة وكله (ودن من طين وودن من عجين) وبصراحة الجمهور محملهم فوق طاقتهم، ولجل ما نريحهم ياريت يقدموا الاستقالة؛ كفايا تعبانهم معانا مابين هدم قصور، ومقابر، ودا بصراحة مجهود جبار فوق طاقتهم.

هيبدأ اللقاء بالنشيد الوطنى لشاعر النيل حافظ إبراهيم:

وَقَفَ الخَلقُ يَنظُرونَ جَميعاً
كَيفَ أَبنى قَواعِدَ المَجدِ وَحدي
وَبُناةُ الأَهرامِ فى سالِفِ الدَهرِ
كَفَّونَى الكَلامَ عِندَ التَحَدّي
أَنا تاجُ العَلاءِ فى مَفرِقِ الشَرقِ
وَدُرّاتُهُ فَرائِدُ عِقدي

انتهى النشيد الوطنى للفريق التنويرَي، وَطبعًا الموسيقى، والمعازف حرام؛ فما فيش نشيد وطنى للفريق المتشدد. أنا شايف حد من الفريق إياه شمتان، وسامع حد من الجمهور بيقول: أحسن، وحد تانى بيقول: هو أصلا زيارة القبور حرام! وطبعا كل الكلام ده (اوفصيد واللينز مان) رفع الراية. أنا شايف دكة البدلاء بتطالب اتحاد الكورة بالاحتفاء برموزنا، وأحياء ذكراهم، والإبقاء على القبور، والقصور، وتطويرهم بدل من هدمهم .. قام حد من دكة التنويرين، وشاور للجمهور يهدا شوية؛ الماتش لسه فى بدايته يا جماعة؛ دا فيه سواد جاى .. وبعدين التغييرات دى كلها من أجل الصالح العام .. لو نفتكر مع بعض عوامات الكيت كات؛ ناس كتير وقتها اثارت بلبلة، وقالت ليه كده؟ وإيه الهدف؟ لكن الهدف جه فى مرمى المعارضة لما عرفنا ان العوامات هتبقى غرف للميتين؛ قصدى للمشجعين فى نهائى كاس العزاب الدولى .. دا غير القصور والفلل اللى بتتهد فى كل ربوع مصر، وده برضه من أجل تطوير البتنجان، وتقوير الكوسا، والمحشى كمان. خطة الفريق التنويرى هتبدأ بشوية حلول على شوية آراء على حبة مقترحات، والحمد لله اترفضت .. فريق ولا ليه أي لزمة! .. أما خطة الفريق المتشدد هى النزول لأرض الميدان، وعمل جولة دعوية رعوية لتوسيع دايرة التشدد، وهى هى نفس المهلبية .. الفريق المتشدد عاوز يحسن موقفه فى دورى العنصرية؛ خاصة ان الفرق الارثوذكسية كسبت الماتش اللى فات وقربت من المنافسة .. الماتش معقد ومقفول، وكل فريق محضر خطط خارجية وداخلية، والقيادة الفنية الحمد لله آخر ملوخية؛ لكنها طول الوقت بتحاول تعبر بالفريق لبر الأمان، والرز أبو لبن كمان .. الفريق التنويرى بيحتل المركز الثالث، والفريق المتشدد بيحتل المركز الرابع، والفريق الأكثر تشددا بيحتل المركز التانى بعد ما كسب دربى العنصرية؛ وعموما هى مش فارقة كتير كله فى السواد.. ولا حد بيفكر فى بحث علمي، ولا تعليم، ولا التنوير .. وكل الأمور على الفيس بوك عبارة عن (دى راحت، ودى جت، ده رجع وده راح، دى أعلنت ودا اعلن، دى فتوة، ودى وعظة، ودى خطبة) .. وزى ما قال عم أحمد فؤاد نجم (كله منهو بفتوتين) والحدق يفهم .. لكن برضه بصراحة مش عاوزين نحمل إدارة النادى فوق طاقتها؛ بناء ستاد جديد أمر مهم جدا؛ لدرجة تخلينا نضحى بأثار، واقتصاد وسياسة النادى الداخلية، والخارجية كمان .. ومش مهم الأعضاء يتنفسوا، ولعلم حضراتكم الفكرة دى اتعملت زمان فى العصور الوسطى؛ ما دول برضه كانوا معاتيه وآخر جنان.. وقتها اتفرضت ضريبة على الهوا .. يعنى عشان تتنفس تدفع ضريبة !! .. والهوا ملوش دوا .. ونزلنى المحطة الجاية، والغى رحلتى .. الكورة راحت للكاتبة الكبيرة صافى ناز كاظم، واللى أعلنت عن بيع مكتبتها، وشاطت الكورة خطفتها الصفحات التنويرية، وبدأت حملة تصفية حسابات وهاتك يا ردح .. المشكلة بدأت من زمان لما كاتبتنا الكبيرة سابت نادى اليسار، وراحت فى فترة الانتقالات الشتوية للفريق المنافس، وكله نسى وتناسى رغبة اللاعبة! هى حرة يا جماعة .. مش هى دى الحرية ولا إيه؟! .. وشاطت جت فى القائم .. ارتدت للتنويرين .. خطفها منه ابن الشيخ يعقوب، ومسك الحديدة بعد ما والده انتقد البدلة .. ابنه غزله، وقال عادي، وهدف بنيران صديقة .. سنتر التنويريين .. وقف على كورته ووزع .. راحت للونج اليمين .. عدى منه وفات من التانى .. قطعها المتشدد .. وادها مرة تانى لابن الشيخ يعقوب .. دخل عليه الباك التنويرى وخطفها .. وقاله يعنى المايك والتصوير حلال، والبدلة هى اللى حرام! وشاط .. حرام جت فى العارضة .. يا الله على الماتش .. راحت للخمايسي، واللى غزل نجيب محفوظ وقال عنه كاتب عادي؛ بلا نوبل؛ بلا اوبل! .. وهدف بنيران صديقة محدش أحسن من حد .. أنا شايف تبديل الجمهور بيطالب بخروج الخمايسى .. الخمايسى لعيب مهم؛ لكنه مثير للشغب .. صحيح صاحب رؤية وفكر وله لمسته لكنه محسوب على الفريقين! .. سنتر المتشدد .. باصاها على اليمين رماها فى الشمال، وقال استخدامنا المايك والكاميرا ضرورات، والضرورات تبيح المحظورات، وهدف التقدم للفريق المتشدد .. هدف (استروبيا) لكنه من الأهداف اللى بتعجب الجمهور .. الجمهور هيتجنن .. سنتر التنويريين .. وخدها يسرى حسان عدا من الجميع، وفات وماشى الله عليك، وشاط الكورة عند ليلى علوي، وقالها يا فنانة إيه علاقتك بالمسرح؟ .. ليلى اعتذرت عن التكريم، وهدف التعادل بأقدام «حسان» الله عليك .. أنا شايف خطة المدير الفنى للفريق التنويرى ملخبطة لازم يحصل تغيير فى نص الملعب .. يعنى .. بصوا على الفرق التانية هجوم مسيحى منظم على الصفحات الفيس بوكية .. بيقابله تخطيط منظم للسلفيين برضوا على الصفحات الفيس بوكية .. هى دى الفرق اللى محافظة على مستواها .. وبيطلق حكم المباراة «زمارة» انتهاء الشوط الأول، ونذهب إلى الاستوديو التحليلى

أعزائى المشاهدين

انتهى الشوط الأول بالتعادل الإيجابى بهدفين لكل فريق

الجمهور يطالب بتغيير أشرف الخمايسى ويسرى حسان يشوط على ليلى علوي

جالنا خبر هيقلب الموازين ميرفت الشعراوى رجعت لفريقها

وفى المقابل مدير نادى أنا مع نفسى حامد عبد الصمد ظهر فى صفة كروية مع مدير نادى أنا ضدهم وشكلنا هنشوف تعاون جديد، والدورى هيولع .. وربنا يرحمنا منكم كلكم .. نرجع للماتش

يطلق حكم المبارة «زمارة» البداية

راحت لأستاذ التصميم العمرانى أيمن ونس، واللى قدم استقالته، وحط الكل فى ورطة، نبأ عاجل .. أيمن ونس تراجع عن الاستقالة عين العقل .. إحنا محتاجين هدوء .. عشان نعرف نشتغل .. أنا شايف شغب كبير من الجمهور، وشماريخ بتتضرب، والأمن نزل .. وفى هذه الأجواء يطلق حكم المبارة «زمارة» نهاية الماتش، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ونلقاكم فى كوبرى .. عفوا فى مباراة جديدة وإلى لقاء.

فوق البيعة

من المتحف للمحجر يا قلبي لا تحزن

فوق البيعة مصطلح لم يعد له وجود ولكنه رجع تاني عشان يقولك عدد المحاجر في مصر تقلص من ٣ آلاف إلى ١٨٠ والسبب هو الرسوم والتكاليف وبقينا فوق البيعة نستورد الرخام .. ولكن دي تصريحات قديمة شوية وبتجدد ولازم فوق البيعة نقول ان السيد الرئيس قاد حملة موسعة لتطوير منطقة شق الثعبان وتحويلها لمنطقة صناعية عالمية.

ما وراء الظاهرة.. قراءة فى كتاب «تاريخ شعبى لكرة القدم»

قد لا يكون كتاب «تاريخ شعبى لكرة القدم» (دار المرايا للثقافة والفنون بالقاهرة) أول كتاب يكتب عن كرة القدم، ولن يكون الأخير بطبيعة الحال، ولكنه فيما أتصور، أحد الكتب المهمة التى تناولت كرة القدم، ليس لأن مؤلفه «ميكائيل كوريا» يُقدِّم لنا وعيًا تاريخيًّا مفصلًا لكرة القدم وانتقالها من التبسيط إلى التركيب، ومن المتعة إلى الاحتراف المؤسسى فحسب، وإنما لأنه يتناولها من حيث كونها ظاهرة ثقافية واقتصادية وسياسية، يتابع الدلالات ويحفر فى الأنساقِ المضمرة التى جعلت منها نصًا ثقافيًّا معولمًا، يحتفى به الناس فى أرجاء المعمورة، على اختلاف ثقافاتهم ولغاتهم ومعتقداتهم وأجناسهم.

فهذا كتاب مهم، بأجزائه الخمسة وفصوله المتلاحِقة التى تصل إلى اثنين وعشرين فصلًا، كما أنه مهم بترجمته الدقيقة التى اجتهد فيها الأستاذ «محمد عبد الفتاح السباعي» وبها استحق جائزة الترجمة بمعرض القاهرة الدولى للكتاب هذا العام ٢٠٢٣م

لم تعدْ كرة القدم مجرد لعبة لتزجية أوقات الفراغ، وإن كانت كذلك فى بداياتها الأولى، وإنما باتت عنوانًا أساسيًّا فى حياتنا، لأنها- فيما يقول مترجم الكتاب- قد «غيرت فى المفاهيم والعلوم التى يتم تدريسها فى كليات السياسة والاقتصاد، فالتعريف التقليدى للبلد والقائم على الشعب والدولة والحكومة والإقليم يتضمن الآن عنصرًا إضافيًّا لا غنى عنه لاكتماله: الفريق الوطنى لكرة القدم، والبلد لا يصبح بلدًا بالمعنى الكامل للكلمة إلا إذا كان له منتخب يدافع عن حدوده ويلعب باسمه».(ص٥)

بالتأكيد لم يكن فى خلد هؤلاء الذين حاولوا الاستفادة من هذه اللعبة من أرباب العمل والسلطة أنها ستصل إلى هذه الآفاق الجادة والخطرة، ولكن هذا ما حدث فى النهاية؛ فقد باتت الملاعب ساحات للنضال الاجتماعى والسياسي، وصار بمقدور الدارسين الحديث عن تطور علم «سيسيولوجيا المدرجات» وما يتصل به من تحيزات اجتماعية، طبقية وعرقية، وولاءات وجدانية وقومية، ونزعات استعمارية معلنة ومضمرة، ومقاومة رمزية لتلك الأفكار من جانب آخر. بما يجعلنا فى النهاية إزاء ساحة شديدة التركيب لأفكار كثيرة، وعقد نفسية وتاريخية ليس من السهل تجاهلها، وهذا كله يجرى أمام أعيننا، وفى تلك الساحة الضيقة التى نسميها «الملعب»، حيث يمكننا جميعًا مراقبة خشبة المسرح وما يجرى فوقها، ونتوقع بالتأكيد ما يجرى من ورائها..

وفكرة المسرح ليست مجرد تشبيه أو استعارة تقريبية، ولكننا إزاء مسرح بالفعل.. فـ«كُرة القدم» تقدم مسرحًا دراميًّا «فكل مباراة تحترم مبادئ المسرح الكلاسيكي: وحدة المكان (الملعب)، ووحدة الزمان (مدة المباراة) ووحدة الحركة (اللعبة بأكملها تجرى أمام الجمهور) وكل مباراة هى حبكة ذات جرعة مكثفة من الدراما التى تكتب نهايتها أمام أعين المتفرجين المتيقظين للسعى خلف الكرة بين فريقين متنافسين» (ص١٠)

التحرر والتسلط

على امتداد عقود متصلة قدم المحللون تفسيرات لا حصر لها تحاول فهم ظاهرة كرة القدم وتفسر أسباب انتشارها، منها ما يركز على فكرة العدالة النافذة والقواعد الشفافة الواضحة التى يعرفها الجمهور والحكّام جيدًا، ومنها ما يُركِّز على أصالة فكرة المنافسة والسعى للفوز باعتبارها فطرة إنسانية..إلخ. والتفسيرات تختلف من حيث العمق والأصالة والشمول، ولكننا مع «ميكائيل كوريا» نضع أيدينا على أسباب أخرى، منها ما هو تاريخى يتصل بنشأة الكرة داخل فضاء المجتمعات الشعبية أو الهامشية، ومنها هو طقسى عريق كامن فى لاوعى الإنسان، وهذا ما يشير إليه «إيميل سوفستر» عالم «الإتنيات» الذى يصف بالتفصيل أجزاء الكرة فى مقاطعة «بروتانى السفلى»، بقوله:

إن «هذا التمرين كان آخر أثر لعبادة مارسها القلّط للشمس، فتلك البالونة بشكلها الكروى كانت تجسد نجمة النهار (الشمس)، وكانت تُقذف فى الهواء، وكأنها محاولة للمس هذه النجمة، وحينما تهبط يدور الصراع حولها باعتبارها جسمًا مقدسا».(ص١٨)

لقد انتشرت الكرة بين الريفيين وأصحاب الحرف فى البداية، وكانت ممارستها فى الحقول الواسعة فعلًا أقرب إلى الطقس الشعبى الذى يؤكد فيه القرويون وجودهم فـ«من خلال المواجهات بين فرق المتزوجين وفرق العُزّاب يمكن فهم كرة القدم على أنها طقس يحرِّض على الرجولة وتحمل المسؤولية أو وسيلة للاندماج فى المجتمع الريفي». (ص١٩)

ومع الثورة الصناعية فى القرن ١٩ اكتسبت كرة القدم مكانتها وحضورها المعولم، وقبل ذلك كانت مجرد لعبة شعبية مستهجنة من قبل السلطات ورجال الدين والنبلاء، وابتداء من النصف الثانى من القرن الخامس عشر، وفى «عهد هنري» الخامس ملك إنجلترا باتت توصف باعتبارها نشاطًا ترفيهيًّا سيىء السمعة، وهو ما يمكن رصده فى مثل هذا المنشور:

«البعض يطلق كرة القدم على لعبة يتجمعون حولها فى الريف، يتقاذف الشباب كرة ضخمة ليس بقذفها فى الهواء، بل بدحرجتها على الأرض، ولا يفعلون ذلك بأيديهم، ولكن بأقدامهم، إنه نشاط قذر وحقير أكثر من أى لعبة أخرى، وهى لعبة نادرًا ما تنتهى دون حادث أو خسارة أو إصابة للاعبين أنفسهم». (ص١٨)

ومع الثورة الصناعية عمل أرباب الصناعات على ضبط قواعدها وتوحيدها، بل وأنشأوا الفرق التى تلعب باسم المصانع.. ولم يكن الهدف من ذلك هو الحرص على راحة العمال ومنحهم مساحة حرة للهو والترفيه، ولكنهم وجدوا فيها وسيلة فعّالة لتعليم العمال احترام السلطة وتقسيم العمل، وصرف طاقة العمال بعيدًا عن أى نشاط قد يقلل من مخرجات العمل ويمنحهم مزيدًا من الحقوق.

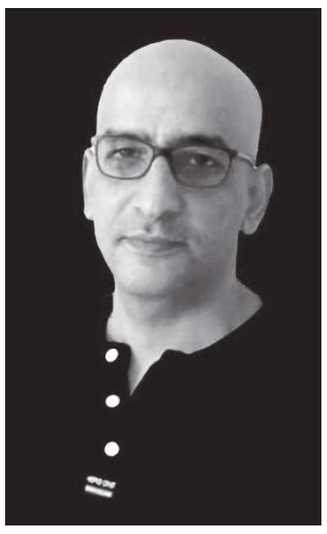

لقد حقق أرباب العمل ما أرادوا أو ما سعوا إليه من ذلك، ولكن المفارقة هنا أن كرة القدم أدت إلى تعزيز الشعور الجمعى لدى العمال، باعتبارهم ينتمون إلى فئة واحدة، كما أسهمت بشكل كبير فى ظهور وعى طبقيّ قويّ يسعى إلى التحرر من قبضة السلطة.. ومن هنا تتخلق المفارقة المرتبطة بأصل هذه اللعبة، أقصد المفارقة بين رغبة السلطة (سياسية أو دينية أو رأسمالية) فى ضبط سلوك العمال، وتوجيهه وجهة تخدم أصحاب السلطة وبين رغبة العمال فى انتزاع حقوقهم وتحررهم من قبضة السلطة.

وهذه المفارقة المؤثرة هى موضوع هذا الكتاب، أو هى مناط انشغاله وتوزع أفكاره وفصوله، فالمؤلف مشغول بجدل هذه العلاقة بين الكرَتين: الشعبية والنخبوية أو بين النمطين من السلوك: استغلال الأغنياء ومقاومة الفقراء.. وتاريخ كرة القدم هو تاريخ الجدل بين هذين النمطين وتلك الغايتين دون وجود حدود مغلقة بين هذين العالمين، فالحدود بنهما متداخلة متحركة؛ «فبالأمس استولت الطبقة العاملة على كرة القدم الفيكتورية الإرستقراطية، واليوم أندية يملكها ملياردرات يشترون لاعبين من أحياء فقيرة بأثمان باهظة...». (ص١٢)

تطبيع الأجسام وصياغة الأرواح

لم تكن الثورة الصناعية مجرد حافز على تطوير كرة القدم فحسب، ولكنها طبعتها بطابعها وأخلاقها؛ فعملت على توحيد قوانينها المتعددة أو المختلفة باختلاف المناطق التى شغفت بها، وعملت على تشكيل هيئاتها واتحاداتها، بما يسمح لأكبر عدد من الأفراد من إعادة إنتاج الممارسات الجسدية نفسها ضمن مساحة زمنية محددة، بالإضافة إلى تخصص اللاعبين فى أدوار وظيفية محددة داخل الملعب، وهى ذاتها فكرة تقسيم العمل وفق قدرات الأفراد، أو بما يسمح لقدرات الأفراد من النمو ويُزكّى لديهم روح المبادرة، وذلك كله مع التزام تام بقوانين اللعب والخضوع لها.. كان الهدف هنا هو (إنتاج) الأهداف والفوز فى التنافس. وهذه كما ترى كلها قيم وجدت مع المجتمع الصناعي.

لا يمكننا استيعاب ما أنجزته الثورة الصناعية فى هذا الصدد دون العودة إلى كرة القدم الشعبية التى كانت خشونتها وعفويتها مصدر قلق واضطراب كبيرين، ولم تفلح محاولات تجريمها، وظل الأمر كذلك: سلطة تضيق بالكرة وطوائف شعبية لا حصر لها مفتونة بها..!

ولكن الأمر اختلف كثيرا مع انتقال اللعبة إلى طلاب المدارس من أبناء الطبقة المتوسطة الذين كثر تمردهم على مديرى المدارس، ولم تفلح معهم العقوبات البدنية المختلفة، بل لم تزدهم إلا تمردًا وعصيانًا.. وبالتوازى مع أنشطة الشغب المدرسية كرّس الطلاب وقتًا كبيرًا من وقت فراغهم لممارسة كرة القدم الفلكلورية المستوحاة بشكل مباشرمن كرة القدم الشعبية، وكان لكل مدرسة عامة كرة قدم خاصة بها.. ولنا أن نتوقع وسط هذه الأجواء مزيدًا من العنف والمشاجرات بين الطلاب، وكان الشباب يصابون إصابات خطيرة وبشكل دوريّ. (ص٣١)

وبالنسبة لمجتمع صناعى مزدهر أو فى سبيلة إلى ذلك، لم يكن هذا السلوك مناسبًا؛ كان المجتمع فى حاجة إلى تدريب شباب المدارس ليتمكنوا من النهوض بالرأسمالية الصناعية ومعها، بطبيعة الحال، المشروع الاستعمارى البريطاني.. ومن ثم فقد كان ضروريًّا أن يحل الانضباط محل الفوضى والاضطراب.. وبذلك التقى الجميع على تلك الرغبة: رجال الصناعة ورجال الدين، ويذكر «ميكائيل كوريا» دور القس «توماس أرنولد» مدير كلية بلدة «رجبي» فى الفترة ما بين (١٨٢٨-١٨٤٨م) فقد كان أرنولد يطمح إلى تطهير المدارس وإرساء نظام تعليمى صارم ومنضبط، ويركز بشكل كبير على الأخلاق، وعليه، فقد أرسى مبدأ عقلانيا يصعب الخلاف حوله، وأسهم – أى هذا المبدأ- بشكل واضح فى جعل كرة القدم نشاطا مدرسيًّا معتبرًا داخل المدارس، كان أرنولد يقول:

«أفضل أن يلعب طلابى كرة القدم بقوة بدلا من قضاء أوقات فراغهم فى الشرب أو السكر أو القتال فى حانات المدينة. الرياضة هى ترياق للفجور وعلاج لعدم الانضباط». (ص٣٣)

وبحلول عام ١٨٥٣م باتت ممارسة الألعاب البدنية شبه إلزامية فى المدارس العامة، فأدخلتها بعض الكليات ضمن مناهجها.. والحق أن المعلمين عمدوا إلى توظيف كرة القدم من أجل مزيد من الضبط التربوي، وأصبحت الكرة تشغل مساحة كبيرة من وقت الطلاب وجهدهم، كان ذلك ضروريًّا لتشتيت انتباه الطلاب عن أى محاولة للتمرد.

كان ضروريًّا، والحال كذلك، أن تتوحد قواعد اللعبة، ولكن هذه القواعد ما كان لها أن تترسخ بدون قيم وأخلاقيات، يطلق عليها «كوريا» أخلاقيات اللعب النظيف، وهى أخلاق موروثة بشكل مباشر من قانون شرف الفرسان الذى يجمع بين فن الحرب وفن المجاملات.. فلا يمكننا الحديث عن النصر- وفق المؤرخ يوهان هويزينجا- «إلا لو خرج شرف القائد من القتال فى أبهى صورة، أو حتى عندما يعرف الفائز كيف لا يفرط فى الفرح». (ص٣٦)

طريقة بسيطة لقول: لا..!

لكى نفهم كيف يمكن أن تكون لعبة الكرة ساحة للقتال وحدود الملعب هى حدود الوطن يمكننا تأمل كلمات هذه الأغنية:

«أيها الحارس للمرمى استعد للمعركة، أنت خفير مناوب أمام شباكك، فلتتخيل أن حدود الدولة هى المرسومة خلفك».

لم تكن هذه مجرد كلمات أغنية فى فيلم سوفيتى فحسب، ولكنها كلمات كاشفة عن الطريقة التى تم بها توظيف الكرة من قبل الديكتاتوريات، من إيطاليا إلى روسيا وأسبانيا.. فمنذ وصوله إلى السلطة جعل موسولينى الرياضة بشكل عام وكرة بشكل خاص سلاحًا سياسيًّا كما لم يفعل أى زعيم سياسى من قبل، كانت سياسته «تهدف إلى تدريب جنود المستقبل المستعدين للدفاع عن الوطن وإخراج رجل جديد، ليكون بمثابة (رأس الحربة) لأمة صحية ومتجددة». (ص٩٠)

لم يكن الأمر مجرد تلوين لغوى أو عسكرى لكرة القدم؛ لقد انشغل موسولينى بالكرة على نحو يفوق الوصف، وليس أدل على ذلك من بناء أكثر من ٢٠٠٠ ملعب فى فترة وجيزة جدا، أقل من خمس سنوات.. كما لم تكن اللغة العسكرية مجرد نشاط سياسى عام، لقد تغلغلت فى أداء الجميع من المذيعين والصحافيين، ويمكننا أن نأخذ مثل هذا التعليق للمدرب «فيتوريو بوز» مدرب الفريق الإيطالى بعد فوزه بكأس العالم ١٩٣٢م:

«نجاحنا مكافأة طبيعية على الجدية والثبات الأخلاقى وروح التضحية بالنفس والإرادة الراسخة لكتيبة من الرجال». (ص٩٣)

ولا يختلف الأمر كثيرا بالنسبة للاتحاد السوفيتى السابق، فقد نظر الحزب الشيوعى إلى الرياضة على أنها أكبر من مجرد ممارسة بدنية، إنها بالأساس وسيلة لتثقيف الجماهير، وذلك على نحو يخلق إنسانا قادرا على الدفاع عن طبقة البروليتاريا.. وبذلك بدت ساحات اللعب ساحات للنزال الإيديولوجي.. وكان الفوز السوفيتى فيها فوزًا على الرأسمالية الغربية.

ولا يختلف الأمر كثيرا فى إسبانيا إبان حكم الجنرال فرانكو، فقد استغلت اللعبة بشكل واضح، ولا يقتصر الأمر على إعادة تسمية كأس إسبانيا لكرة القدم ليصبح «كأس القائد العام»، وإنما كان على المشجعين فى المدرجات الكبيرة أن يصرخوا باستمرار: يحيا فرانكوا..! (ص١٠٢)

لقد اعتبر فرانكو نادى ريال مدريد النادى الجدير بتمثيل الغضب الإسبانى فى المحافل الدولية، أو بعبارة أوضح اعتبره ناديه والممثل له، وتحت ثقل الديكتاتورية والفقر والقهر بدت ثقافة كرة القديم وسيلة للإلهاء وثقافة للهروب فى الوقت نفسه، وليس أدل على ذلك من وجود ما «لايقل عن أربعة وعشرين مجلة متخصصة فى كرة القدم تصدر فى شبه الجزيرة الإيبيرية». (ص١٠٣)

وفى مقابل هذا الواقع، وتحت رماد الحرب الأهلية استمرت كتالونيا فى معاداة الفاشية، وكانت ملاعب كرة أحد ميادين المواجهة.. وبذلك غدا نادى برشلونة – وفق المؤرخ جوزيب سولي- أداة للمقاومة الاجتماعية والسياسية، ولم يعد ناديا لبرشلونة بل أصبح بطريقة ما ناديا لكتالونيا». (ص١٠٥)

وعليه، فقد بات دعم برشلونه شكلا من أشكال المقاومة الشعبية للقمع والاستبداد، وفى متناول أى إسباني، وعندما تحدث المواجهة بين برشلونه وخصمه المدريدى «تتحول المدرجات إلى متنفس لمجتمع بأسره يكممه طغيان فرانكو، وبما أنه لا يمكنك الصراخ فى الشارع: فرانكو قاتل..! فإن الناس يصرخون فى وجه لاعبى مدريد». (ص١٠٦)

●●●

كانت الفقرات السابقة مجرد قراءة فى الجزء الأول من هذا الكتاب، وهو يحتاج بالتأكيد إلى استكمال نطل من خلاله على عالم كرة القدم وتقاطعه مع الاستعمار والديكتاتوريات حول العالم، والشغف الجماهيرى وعبادة المشجعين والتحيز الجنسى ضد المرأة.. وغير ذلك من القضايا.. ونحن فيما قدمنا حاولنا متابعة ظاهرة كرة القدم، وبيان طاقتها الرمزية وكيف وظفت من قبل الجميع، ولكن كرة القدم تأبى إلا أن تكون وفية لأصل نشأتها، مجرد لعبة تحقق المتعة، وتمكن المضطدين بطريقة آمنة من قول: لا..!

د.محمد عبد الباسط عيد

● نقلا عن الصفحة الشخصية للكاتب على فيس بوك